البداءة قدر على الإعادة. ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ أي يوم القيامة تبلى فيه السرائر، أي تظهر وتبدو، ويبقى السر علانية، والمكنون مشهور، وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «يرفع لكل غادر لواء عند أسته، يقال: هذه غدرة فلان ابن فلان». ﴿فَمَا لَهُۥ﴾ أي الإنسان يوم القيامة ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ أي في نفسه ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ أي من خارج منه، أي لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله، ولا يستطيع له أحد ذلك.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ۝١٧﴾

﴿ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ هو المطر، أو هو السحاب فيه المطر، أو ترجع رزق العباد كل عام، ولولا ذلك لهلكوا، وهلكت مواشيهم، أو ترجع نجومها وشمسها وقمرها يأتين من ههنا ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢﴾ هو انصداعها عن النبات ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣﴾ حق، أو حكم عدل ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤﴾ أي بل هو جد حق. ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سبيله فقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥﴾ أي يمكرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن، ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾ ثم قال تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي أنظرهم ولا تستعجل لهم ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ أي قليلًا، أي وسترى ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك، كما قال تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٢٤﴾ [لقمان: 24].

تفسير سورة الأعلى

والدليل على ذلك ما رواه البخاري عن البراء بن عازب قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم فجعلا يقرءاننا القرآن، ثم جاء عمار بن ياسر، وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء، فما جاء حتى قرأت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ في سور مثلها. وروى الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ تفرد به أحمد. وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ: «هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى» وروى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قرأ في العيدين بسبح اسم ربك الأعلى، وهل أتاك

هل أتاك حديث الغاشية، وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعاً، وقد رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝٣ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝٤ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى ۝٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ۝٨﴾

روى الإمام أحمد لما نزلت ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [الواقعة: 74] قال لنا رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم» فلما نزلت ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١﴾ قال: «اجعلوها في سجودكم» ورواه أبو داود وابن ماجه: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝٢﴾ أي خلق الخليفة وسوَّى كل مخلوق في أحسن هيئة ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝٣﴾ هدى الإنسان للشقاوة والسعادة، وهدى الأنعام لمراتعها، كقوله تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: 50] وثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝٤﴾ أي من جميع صنوف النباتات والزروع ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ۝٥﴾ هشيماً متغيراً، قال ابن جرير: وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى أن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم، وأن معنى الكلام، والذي أخرج المرعى، أحوى، أخضر إلى السواد فجعله غثاء بعد ذلك، ثم قال ابن جرير: وهذا وإن كان محتملاً إلا أنه غير صواب لمخالفته أقوال أهل التأويل. وقوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ أي يا محمد ﴿فَلَا تَنسَى﴾ وهذا إخبار من الله تعالى ووعد منه له بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي إلا ما يشاء الله رفعه فلا عليك أن تتركه ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ أي يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ۝٨﴾ أي نسهل عليك أفعال الخير، وأقواله، ونشرع لك شرعاً سهلاً سمحاً مستقيماً عدلاً، لا اعوجاج فيه، ولا حرج ولا عسر.

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝١١ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝١٣﴾

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ۝٩﴾ أي ذكر حيث تنفع التذكرة، ومن ههنا يؤخذ الأدب في نشر العلم، فلا يضعه عند غير أهله ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى ۝١٠﴾ أي سيتعظ بما تبلغه يا محمد من قلبه يخشى الله ويعلم أنه ملاقيه ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝١١ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝١٣﴾ أي لا يموت فيستريح، ولا يحيى حياة تنفعه، بل هي مضرة عليه، لأنه بسببها يشعر ما يعاقب به من أليم العذاب، وأنواع النكال.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ أي طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة، وتابع ما أنزل الله على رسوله صلوات الله وسلامه عليه ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ أي أقام الصلاة في أوقاتها ابتغاء رضوان الله، وطاعة لأمر الله، وامتثالاً لشرع الله ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ أي تقدمونها على أمر الآخرة، وتبدونها على ما فيه نفعكم، وصلاحكم في معاشكم ومعادكم ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾ أي ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا، وأبقى، فإن الدنيا دانية فانية، والآخرة شريفة باقية، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى، ويهتم بما يزول عنه قريباً ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد؟ روى الإمام أحمد عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له» ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ روى أبو بكر البزار عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ قال النبي ﷺ: «كان كل هذا، أو كان هذا في صحف إبراهيم وموسى».

تفسير سورة الغاشية

عن النعمان بن بشير: كان النبي ﷺ يقرأ بسبح اسم ربك الأعلى والغاشية في صلاة العيد ويوم الجمعة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾﴾

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾﴾ الغاشية من أسماء يوم القيامة. روى ابن أبي حاتم عن عمرو بن ميمون قال: مر النبي ﷺ على امرأة تقرأ ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾﴾ فقام يستمع ويقول: «نعم قد جاءني» وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾﴾ أي ذليلة، تخشع ولا ينفعها عملها.

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾﴾ أي قد عملت عملاً كثيراً، ونصبت فيه، وصليت يوم القيامة ناراً حامية ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾﴾ أي قد انتهى حرها وغليانها ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾ هو شجر من نار، أو هو